Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS)
ISSN (E): 2305-9249 ISSN (P): 2305-9494
Publisher: Centre of Excellence for Scientific & Research Journalism, COES&RJ LLC
Online Publication Date: 1st January 2018
Online Issue: Volume 7, Number 1, January 2018
https://doi.org/10.25255/jss.2018.7.1.42.60

The Philosophy of Coexistence in the Interpretation of Al-Maidah Surah (Chapter) Ali Radi AbuZurayk as a case study

Dr. Zaid khalid Al-Zuriqat
Department of philosophy
School of Arts,
University of Jordan, Jordan

Abstract:
This paper aims at inspecting the Holy Quran stands (especially in Al-Maidah) on conflicts and anarchies, that are effecting our region and the world, which claims that such conflicts are related to sect and religion differences. Instead religion being a factor to stabilize and relief societies from conflicts and anarchies, it has turned to be their stamina.

The paper concentrated on the possibilities of coexistence among the followers of different religions as presented by Ali Rida Abu-Zraiq in his recent book ***The Miracle of Quran's Names of Chapters*** (2017). In His book he presented a new, and different, interpretation of Al-Maidah Surah in accordance semantics and syntaxes. Hence, this paper tried to compare such interpretation with two other interpreters: Sayd Qutob as a version of Sonnies and Mohammed Husain Tubtabaei as a version of Shieats.

The paper concluded that the new interpretation of Al-Maidah is different from all previous interpretations. While the old interpretations would present justifications for conflict, killing and exclusion; Abu-Zraiq's interpretation would present a totally different perspective of the Al-Maidah, presenting a bright picture of the possibility of coexistence among different religions within the same society, showing that the Chapter clearly indicates the way to resolve any possible conflict among them. Hence, in accordance with such interpretation, the religious differences within the society will bring about the need for respect and compassion among them, and a motivation to the followers in seeking God's obedience.
Keywords:
Coexistence, Interpretation of Quran, Ali Abu Zuragk, Al- Maidah Chapter (surah)
Citation:
Al-Zuriqat, Zaid khalid (2018). The Philosophy of Coexistence in the Interpretation of Al-Maidah Surah (Chapter) Ali Radi AbuZurayk as a case study; Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS), Vol.7, No.1, pp:42-60; https://doi.org/10.25255/jss.2018.7.1.42.60.

فلسفة التعايش في تأويل سورة المائدة

دراسة علي راضي أبو زريق انموذجاً
الدكتور زيد خالد زريقات
الجامعة الأردنية-كلية الآداب – قسم الفلسفة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة موقف القرآن الكريم (سورة المائدة خصوصاً) من الصراع والفتن التي تجتاح منطقتنا والعالم متخذة من اختلاف الدين أو المذهب وقوداً لشررها. ففي الوقت الذي كان يجب أن يقوم الدين بدور العزاء والتخفيف من الصراع والفتن صار هو الوقود لهما.

وتناولت الدراسة إمكانية التعايش بين أتباع الأديان المختلفة كما قدمها الباحث علي راضي ابو زريق في كتابه "معجزة أسماء السور القرآنية" الذيصدر حديثا (2017). وذلك بتأويله لسورة المائدة بناء على النص مفسرا وفق قواعد اللغة. ولأن فهمه جاء مغايرا للفهم الشائع. حرصت هذه الدراسة على عقد مقارنة بين ما جاء في الكتاب المذكور (فصل سورة المائدة) وما يقابله من تأويل لنفس السورة لدى كل من المفسرَين سيد قطب ممثلا لتفاسير أهل السنة، ومحمد حسين الطبطبائي ممثلا لمفسري الشيعة الاثني عشرية.

وخلصت الدراسة إلى أن التأويل الجديد لسورة المائدة مختلف عن كل ما تقدم من التفاسير. وإذا كانت التفاسير القديمة تقدم مسوغات للصراع والقتل والتكفير والإقصاء؛ فإن فهم ابو زريق للسورة يقدمها في صورة مشرقة للعلاقة بين أتباع الأديان المختلفة في المجتمع الواحد؛ وتكفي توجيهاتها لتلافي اي نزاع يمكن أن ينشأ. فحسب سورة المائدة كما قدمها الباحث يصير اختلاف الدين مرجعا لتبادل الاحترام ووسيلة للتعاون بين فئات المجتمع وحافزاً لتنافسها في طاعة الله كلٍّ على دينها.

الكلمات الدالة:
التعايش، تأويل القرآن ، علي راضي أبوزريق، سورة المائدة

المقدمة:

نحن في حاجة ماسّة لكي نتحلى بمزيد من الحكمة أكثر مما لدينا حالياً، كي ندفع بحالة التعايش بكثير من المسؤولية، على الرغم من أن هناك توجس لدى البعض من ممارسات قوى عالمية ومحلية لا تصب في هذا الاتجاه، ويرون أن مستقبل الحضارة الإنسانية في كفة ميزان، بناءاً على الواقع المؤلم في العالم، حيث يعاني كثير من سكان الأرض من حالة عدم التعايش ويتعرضون للقتل والتهجير والتعذيب، وأنه لمقلق جداً أن نرى قادة سياسيين في العالم ينخرطوا في حملة مخادعة للتلاعب بالرأي العام، من خلال زرع بذور الشك المضللة، وإثارة العوامل الغريزية، وإثارة نزعة الدفاع عن الذات من خلال خلق وهم أن هناك تهديداً وجودياً يتطلب التعبئة الجماعية، ضد الآخرين على أساس من العرق أو الدين، لتحقيق مأرب سياسة رخيصة.

في هذا الزمن تقارب المكان واتسع المكان المحدود لعدة ثقافات. ولم يعد في الدول الناهضة مجتمع أحادي العرق أو الدين. فالتعددية العرقية والثقافية هي الحال الشائع في كل الدول الحية. وتكاد الأحادية تقتصر على البؤر الأقل تطورا، بل التي ما زالت بعيدة عن مستوى المدنيات الحديثة. ومع هذا الحال لا بد من إيجاد فلسفة للتعايش بين أتباع الثقافات المختلفة سواء أكانوا في دولة واحدة أو من سكان دول متعددة.

وفي السنوات الأخيرة طرأ على الساحة الدولية وانطلاقا من منطقتنا العربية فكر شديد التطرف ومن المذهبين السني والشيعي. وعند البحث في تراثنا نجد بذور التطرف والتكفير وفتاوى القتل قائمة على قواعد راسخة

انطلاقا من تفسير آيات في القرآن الكريم. مما يحتاج ردا قرآنيا يعادل بقوته وصلابته رسوخ قواعد تلك الفتاوى التي تشكل خطرا حقيقياً، وقبل ذلك على المجتمعات العربية والإسلامية نفسها. فقد استطاع الفكر التكفيري تجميع عشرات الآلاف مع داعش واضعافهم مع حشود إيران للمشاركة بقتال يقوم على تكفير الآخر واستباحة دمه وماله بناء على فتاوى علماء كبار في المجتمعين الإسلاميين السني والشيعي. والتكفير ليس مقصورا على المسلمين بل هو المشترك الوحيد بين كل المؤمنين بالأديان السماوية (كما تعرفه معظم القواميس اللغة الإنجليزية تحت كلمة – **Infidel**). ولكنا هنا معنيين أكثر بشعوبنا ومصادرنا الثقافية.

ونحن نطالع من نماذج التكفير في فكرنا ما كتبه قطب في ظل الآية 55 من سورة يوسف:"وهؤلاء لايقفونبهذاالدينعندحدودأرضمعينة؛ولاعندحدودجنسمعين؛ولاعندحدودقومأولونأولغةأومقوماحدمنتلكالمقوماتال بشريةالأرضيةالهزيلةالسخيفة!إنماينطلقونبهذهالعقيدةالربانيةليحرروا " الإنسان". كلالإنسان: في " الأرض."كلالأرض.منالعبوديةلغيرالله؛وليرفعوهعن العبوديةللطواغيتأياكانتهذهالطواغيت". (قطب، ج4، ص2002–2023)

وفي ظلال الآية 123 من سورة التوبة كتب قطب يقول:"قدأمرالذينآمنواأنيقاتلواالذينيلونهممنالكفار ،وأنيظلوايقاتلونمنيلونهممنالكفار ،كلماوجدهناكمنيلونهممنالكفار . .. . ! جهادلتحرير" الإنسان "منالعبوديةلغيرالله، ومنفتنتهبالقوةعنالدينونةللهوحدهوالانطلاقمنالعبوديةللعباد . . (حتىلاتكونفتنةويكونالدينكلهلله.)إنماهوجهادلإقامةمملكةاللهفيالأرض.ومنثمينبغيلهأنينطلقفي"الأرض "كلها،لتحرير" الإنسان " كله.(قطب، ح3، ص1713–1744).

وليس سيد قطب وحده من يقول هذا. فقد راجعت تفسير هذه الآية (123: التوبة) في مائة تفسير من تفاسير القرآن ينتمي واضعوها لكل مذاهب الأمة. فكان الفهم نفسه مع تفاوت بسيط بدرجة حدة اللغة. **فالطبري** صاحب جامع البيان في تفسير القرآن:يقول:"يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من يلونكم من الكفار". يقول: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد (الطبري، ج11، ص52–53).

أمّا الشيخ محمد سيد طنطاوي (ت:2010م) وهو المعروف باعتداله يقول في التفسير الوسيط:" لأن القتال شرع لتأمين الدعوة الإسلامية، وقد كانت دعوة الإسلام موجهة إلى الأقرب فالأقرب، فكان من الحكمة أن يبدأوا قتالهم مع المجاورين لهم حتى يأمنوا شرهم، ولأنه من المعلوم أنه ليس فى طاقة المسلمين قتال جميع الكفار، وغزو جميع البلاد في زمان واحد، فكان من قرب أولى ممن بعد." وهكذا برر الأمر بتأمين الدعوة والحكمة في القتال.(طنطاوي، ص428–429).

من جانبه محمد حسين الطباطبائي وهو شيعي إيراني يقول في تفسيره الميزان:" أمر بالجهاد العام الذي فيه توسّع الإسلام حتى يشيع في الدنيا، فإن قتال كل طائفة من المؤمنين من يليهم من الكفار لا ينتهي إلا باتساع الإسلام اتساعاً باستقرار سلطته على الدنيا واحاطته بالناس جميعاً" (الطباطبائي، ج9، ص393–408).

لقد بات معروفاًأن الدين عادة يوظف لخدمة أطراف متنازعة ومتنافسة على توظيفه وخصوصا في حالة الحروب الأهلية وغير الأهلية، ولكن كيف أمكن لنص واحدٍ محدد ان يلد تفاسير متناقضة يُكفر بعضها بعضاً وهي تتبع ديناً واحداً؟

إن اختلاف التفسيرات البشرية للنص الديني شائع بين البشر. أشار إليه القرآن بحق أتباع الأديان السابقة للإسلام (سورة البقرة ،الآية 213، سورة آل عمران،الآية 105، سورة يونس، الآية 93، سورة الجاثية،الآية 17). فلا عجب أن يتعرض النص القرآني لنفس الأعراض فيختلف عليه أتباعه.

إن مما ساعد على اختلاف تأويلات القرآن وتعددها أن القرآن نزل آيات منجمات لمعالجة مشكلات محددة أو بتوجيهات احتاجتها الجماعة المؤمنة مع النبي لتنمو على هداها. فاستمر المفسرون في العصور اللاحقة بقراءة القرآن وتفسيره كآيات منفصلات كما تنزَّل أول مرة غير ملتفتين إلى إعادة ترتيبه بسور ذوات أسماء. بل وصل بهم الأمر أن جزؤوا بعض الآيات إلى جمل فسروها منفصلة؛ وكانها ليست اجزاءً في آية واحدة. فتناقضت المواقف.

إزاء رسوخ هذا الفكر وانطلاقاً من نص قرآني لا يجوز الشك به وعلى أيدي علماء هم أكبر علماء الامة؛ وزادهم القدم رسوخا وقداسة. فلم يعد ممكنا محاربة أُسس الإرهاب بالمواعظ ولا على تفسيرات تقوم على وجهات نظر شخصية. بل لا بد من قيام تفسير جديد يقوم على أرض صلبة من علوم اللغة وعدم التناقض والمنهجية التي تخاطب العقل. ومع كل هذه الاحتياطات لن يكون النجاح إلا على مستوى الطليعة المثقفة التي لم يفسد عقولها ركام الأيام من الفتاوى والتفاسير غير السليمة.

وقد تصدى السيد أبو زريق لهذه المهمة. وبعقلية الباحث العلمي وضع كتابه "معجزة أسماء السور القرآنية". وكان أول انجازاته أن حل لغز اسماء السور ووجد نهجا إلهيا منتظما ينطبق على اسماء السور جميعا. فعنوان السورة يؤخذ من كلمة فيها مستعملة بمعنى ما ثم تستعمل نفس الكلمة عنوانا للسورة بمعنى آخر تجيزه معاجم اللغة العربية القديمة التي لم تأثر بعوامل الزمن. ولاختبار نظريته التي انطبقت على جميع سور القرآن وجد نفسه مضطرا لتحليل بناء كل سورة، ليثبت دورانها حول عنوانها. فتمكن بذلك من معرفة موضوع كل سورة، واثبت بشكل عملي وعلمي الوحدة الموضوعية للسورة. وبذا صار لديه ضابط جديد في تفسير آيات القرآن وهو العنوان. بالإضافة إلى ما الزم به نفسه من ضوابط أخرى بلغت مجتمعة عشرة ضوابط ذكرها في المقدمة (ص: 15–19). وهو عدد لم يلتزم بمثله أحد من مفسري الأمة من قبل. وتولد عنه معان جديدة تتماشى مع أصول قراءة النصوص وتناسب فكر العصر الحديث وظروف تقارب شعوب الأرض وتعاونها.

ونعود لما كتبه أبو زريق عن الآية 123 من سورة التوبة لنرى الفرق بينه وبين بقية مفسري الأمة ونورد منهجيته وادلته على صواب ما يقول:" إذاً فهو الأمر للمؤمنين بالقتال. ولا يبدأ من داخل المدينة رغم علم الله بمن فيها كما تقول الآيات (124–127) (التي تشير لوجود منافقين في المدينة). بل ينطلق من المدينة إلى أقرب القبائل والقرى المشركة ويمضي إلى ما يليها حتى تطهر الجزيرة ممن يعلن الشرك، ويرفض الاعتراف بالقيادة الجديدة." (أبو زريق، ص:220)

وبذا يفهم أبو زريق أن المقصود بقتال التوبة هم مشركوا الجزيرة العربية؛ والمطلوب الرئيسي اعترافهم بالقيادة الجديدة. وتوصل إلى هذا الفهم عندما حلل السورة على ضوء عنوانها "التوبة" بمعنى الرجوع إلى الأصل. فالسورة تؤكد أن عودة العرب إلى دينهم الحنيفية بنسخته الجديدة وهي الإسلام مجرد توبة (سورة التوبة: 5). ولم تأمر السورة بقتال نصارى العرب بل طالبتهم أيضا بالعودة إلى الأصل بدينهم والتخلي عما أضافوه للعقيدة وطالبت رجال الدين النصارى بعدم ظلم رعيتهم وعدم الاعتداء على أموالها (سورة التوبة:34). كما دعت المشركين العرب لإصلاح كثير من الأحكام التي حرفوها عن الحنيفية كالنسيء وأحكام الطعام وتقديم أنعامهم للآلهة المدعاة. فالله هو ربهم الواحد وله وحده تكون العبادة والطاعة والتقدمات.

ومن أجمل ما فعل في سورة التوبة تحليلها على ضوء عنوانين أحدهما التوبة وهم العنوان الرباني والثاني براءة الذي بدأ يتسرب كاسم للسورة منذ زمن بعيد. فأثبت أن التوبة هو الاسم الرباني الذي يقود السورة. وكمجمل للسورة لخص هدف السورة بقوله:" ترى أليس في هذا دليلٌ كافٍ على أن القرآن بطريقة نزوله أول مرة كان مشروعاً

قومياً سياسياً؟ وأن التركيز على غزوة العسرة، وتشديد أمر الله على تنفيذها واعتبارها مقياساً لتقييم المؤمنين في هذه السُورة دليلٌ على البعد القومي، وتذكيرٌ لأهل الجزيرة أن ارض الشام ارضٌ عربيَّة يجب تحريرها وبقيةَ أرض العرب."

وبذا يجعل لغة القرآن العربية وعرق المخاطبين وتحديدهم بأنهم المشركون من العرب الأحناف ضابطا لتفسير الآية (سورة التوبة، 123) وطريقة تنفيذها. ويبطل ظن المفسرين جميعا الذين اعتبروا حدود تنفيذ الآية آخر مكان يستطيعون الوصول إليه من الكرة الأرضية، وكذلك فَهْمَ المفسرين أن على المسلمين بسط سيطرتهم على البشرية كلها. وبهذا الفهم للقرآن يضع حائطاً صلباً عالياً في وجه التفسيرات التكفيرية التي انطلقت من أن نص الآية 123 أن سورة التوبة نص مطلق لا يحده مكان ولا عرق بشري (قطب: ج3، ص1713-1744).

لذلك لجانا لتقديم هذه الدراسة المستوفية لشروطها العلمية واخترنا منها سورة المائدة كما قدمها أبو زريق سورة للتعايش بين البشر على أسس راسخة. ذلك انه إن لم يكن تعايشنا فيما بيننا كمسلمين وتعايشنا مع اتباع الأديان الأخرى قائما على قناعة حقيقية وارض صلبة وفلسفة مقبولة فإن مستقبل الأمة سيبقى في خطر وسنبقى مرفوضين من كل شعوب الأرض.

إن البحث يروم إلى تقديم صورة جديدة لفكرتي التسامحوالتعايش في سورة المائدة كما فسّرها علي راضي أبو زريق ونحن نقف في عرض فكرهعند محورين هامين*:

أولاً: أُسّ فلسفة التسامحوالتعايش عند الفلاسفة والمفكرين الإجتماعيين.

ثانياً: مقومات التسامحوالتعايش في سورة المائدة عند علي راضي أبو زريق مقارنةبتفاسير سابقة ومعاصرة، وعلى ضوء رؤية فلاسفة ومفكرين غربيين وعرب.

ثم الخاتمة التي تحمل جملة استنتاجات استخلصها الباحث.

فلسفة الإسلام في التعايش مع الآخر الديني: "يؤسس القرآن الكريم لفلسفة إسلامية متميزة في رؤية الكون والحياة والعلاقات بين الأحياء. وفي هذه الفلسفة الإسلامية المتميزة معالم رئيسية، يمكن أن نشير إلى عدد منها:أن الواحدية والأحدية هي فقط للذات الإلهية.وأن التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف هو سنة إلهية كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات. وأن هذه التعددية هي في إطار وحدة الأصل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى. فالإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة تتنوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان. وكذلك إلى شرائع في إطار الدين الواحد. وإلى

*علي راضي ابوزريق: مفكر اردني ولد 1945، حصل على البكالوريوس في العلوم الزراعية من الأزهر الشريف ثم حصل على ماجستير العلوم الزراعية من الجامعة الأميركية في بيروت. وعمل باحثا علميا زراعيا في وزارة الزراعة الأردنية لمدة 30 عاما تقريبا. وكتب حوالي 25 مسلسلا إذاعيا معظمها يدور حول القرآن؛ إذيع معظمها من إذاعة عمان الرسمية. بالإضافة إلى نشر عشرات الدراسات والمقالات حول اللغة العربية وعلوم القرآن في مجلات وصحف أردنية وعربية و ومهاجرة. كما شارك في معظم لقاءات الحوار الإسلامي المسيحي في المدة 1985 - 1995. وهي اللقاءات السنوية التي كانت تديرها مؤسسة آل البيت للحضارة الإسلامية. وكذلك شارك بلقاءات أخرى لأديان عديدة سماوية وارضية. وبعد تقاعده التام من العمل عم 2012م عكف على وضع كتابه "معجزة أسماء السور القرآنية"، وهدف منه إلى الإجابة على سؤال قديم يتجدد باستمرار في بحوث الباحثين الغربيين المنصفين، وهو العلاقة بين عنوان السورة القرآنية وموضوعها بل مواضيعها.

مناهج، أي ثقافات وحضارات في إطار المشترك الإنساني الواحد، الذي لا تختلف فيه الثقافات. كما تتنوع إلى عادات وتقاليد وأعراف متمايزة حتى داخل الحضارة الواحدة، بل والثقافة الواحدة.

وهذا التنوع والاختلاف والتمايز يتجاوز كونه "حقًا" من حقوق الإنسان، إلى حيث هو "سنة" من سنن الله:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(النساء:1). ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(هود:118-119). وكما يقول المفسرون: "فللاختلاف خلقهم ."فالواحدية والأحدية فقط للحق سبحانه. والتنوع هو السنة والقانون في كل عوالم المخلوقات.(محمد عمارة، المريد، 2015)

يُنظر إلى التعصب بمقابل مفهوم التسامح أو التعايش بوصفه ظاهرة اجتماعية شديدة الخطورة، وبخاصة عندما يتخذ أشكالاً عدوانية تتسم بالعنف، وهو ممارسة قديمة في التاريخ البشري، وممتد في أوقاتنا الراهنة، ويتجلى في مناطق مختلفة في العالم، وفي ثنايا العلاقات بين الأمم والقوميات، وكذلك العلاقات بين الأديان والطوائف الدينية والعلاقات بين الأمم والقوميات، وكذلك العلاقات بين الأديان والطوائف الدينية والعلاقات بين المذاهب والتنظيمات السياسية، وكذلك بين الجماعات، في الأغلبية والأقلية.(مكتبة الفكر الاجتماعي، ص7).

ويذهب فؤاد زكريا إلى أن التعصب يشكل ظاهرة بشرية خالصة، تتمثل في مجال العلاقات الإنسانية، فالناس عرفوا خلال تاريخهم أشكالاً متباينة من التعصب، كالتعصب الوطني أو القومي أو الديني أو الطائفي، وبرأية فإن التعصب يتضمن عنصرين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، حيث الأول يعني اعتقاد الفرد بأن الجماعة التي ينتمي إليها، سواء كانت قبيلة أو وطناً أم مذهباً فكرياً أو دينياً، أسمى وأرفع من بقية الفئات، أما العنصر السلبي، فهو اعتقاده بأن تلك الفئات الأخرى أقل أو أحط شأناً من تلك التي ينتمي إليها.

أن المشكلة التي عانت منها البشرية طوال الجزء الأكبر من تاريخ التعصب كانت الوجه السلبي للتعصب، فالشخص المتعصب هو، قبل كل شيء يتجه بتفكره أساساً إلى الآخرين في حقد أو حسد أو احتقار، فالتعصب في أساسه نظرة سلبية للآخر المختلف، لا تجعله شخصاً مختلف فقط بل ويمكن رفضه وممارسة عدم التسامح معه. (فؤاد زكريا، المرجع السابق، ص156-157)

وفي التراث العربي يحضر مفهوم التعصب ليشير إلى معنى الغلو في الدين أو الرأي إلى حدّ التحايل على المخالف، وعكسه التسامح أو التساهل، بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد، أي ضد الغلو. (أديب اسحق، المرجع السابق، ص13)

والتساهل على حد تعبير أمين الريحاني هو التسامح بوجود ما يخالف والاعتراف بذلك، أي أن التساهل مبني على الاختلاف، وهو أساس التمدن والترقي والتقدم في كل فروع العلم والدين والفلسفة. ولذلك فإن التسامح يضع حدّاً للاضطهادات العظيمة. (أمين الريحاني، المرجع السابق، ص48-59).

من جهته ينظر حسن حنفي إلى التسامح باعتباره قوام الإنسانية، وأن التعصب هو أكثر شرّ يمكن أن يلحق الجنس البشري بعامة، والتسامح هو دواءه، كما أن التعصب يظهر في مجالات متعددة أهمها الدين والفكر والسياسة والقومية، وله في كل مجال نتائج شديدة الخطر، بينما التسامح فإنه يؤدي في المقابل إلى الحوار والقبول بين المذاهب المفتوحة. (حسن حنفي، المرجع السابق، ص175-176).

وفي مجال الحضارة الإسلامية، نجد حضوراً قوياً لثقافة التسامح، في حقبات مديده من التاريخ الإسلامي، أمّا ثقافة الانغلاق والتعصب والعنف، فهي من إفرازات عصور الانحطاط الفكري والديني، التي ورثت ثقافتنا العربية

الإسلامية المعاصرة بعضاً منه. ولا بُدّ من مدّ جسور الحوار والتواصل والتعايش، والانفتاح على الرأي المخالف وقبول التعايش مع الغير. (مصطفى حمزة، مجلة التسامح، ص 238، 300)

فإن الحضارة المنفتحة هي وحدها القادرة على الاستمرار والبقاء وعليه فإن المشترك الإنساني، هو تلك القيم الإنسانية التي تشكل القاسم المشترك بين مختلف الأديان والحضارات، والتي هي نابعة من حاجة الإنسانة الفطرية، بصرف النظر عن انتماءاته، وبغض النظر عن اللون والعرق والجنس والمعتقد، فالحضارات التي تأسست على مزاعم الانتماء إلى لون معين، أو طائفة أو دين مغلق سرعان ما كان مصيرها التفكك من الداخل بسبب الانجرار إلى المواجهة مع الآخرين على أساس الدفاع عن الانتماء الضيق المغلق. (انظر الدكتور ادريس الكنبوري، نقلا عن الدكتور عبد الله بوصوف، ص34).

رئيس مجلس أمناء المعهد الملكي للدراسات الدينية يرى قبول التعددية والإقرار بالتنوّع واحترام حقوق الغير، بغض النظر عن دينه ومعتقده، إضافة إلى حق الاختلاف، لأن ذلك من طبيعة البشر، وحين تتكرس مثل هذه القيم، فإن ذلك سيفضى إلى اشاعة الوئام المجتمعي والدولي، غير أن مبادئ التسامح تتطلب تربية النشء على عدم الخوف من الآخر، بل الانفتاح على ثقافته باعتبارها مصدراً من مصادر الإنسانية، وهذا يتطلب تقديم الولاءات الإنسانية على بقية الولاءات الضيقة (الحسن بن طلال، ص4).

لسنغ (1729–1781) يرى أنه ليس المؤمن بما لا نؤمن به هو بالضرورة على خطأ. إن من الواجب التسامح معه بسبب الإمكانية الكافية للحقيقة الذي يمتلكه. ومن هنا لا يتحمل لسنغ الرأي المخالف فقط بل يرى في الجدل معه ضرورة لدعم جهود الذات الهادفة إلى الوصول للمعرفة، ولا يكون ذلك ممكناً بدون احترام الآخر والاعتراف به. ويتطابق رأي لسنغ مع غوته (Goethe) ومبدئه المعروف أن التسامح يجب أصلاً إلا يكون موقفاً فقط، إذ يجب أن يقود إلى الاعتراف. إن التحمل أهانه. وعليه فإنه لسنغ يرى أن التسامح هو الاحترام والاعتراف بالآخر على المستوى المضموني. (لسنغ، مجلة التسامح، ص291، 299).

يرى راينر فورست (Rainer Forst) بأن التسامح مؤسس أخلاقياً للاحترام المتبادل للأفراد أو المجموعات المتسامحة مع بعضها، إن الاعتراف بالآخر في ذاتيته وغيريته يفهم كإلزام أخلاقي، ويؤسس الاحترام على قاعدة فضيلة العدالة ومطلب العقل. (راينر فورست، المرجع السابق، ص299).

يرى يورغين هابرماس أن التسامح هو تأمين السلام الاجتماعي، وأن وظيفة التسامح هو استيعاب التأثير الاجتماعي للاختلاف في الآراء. وأن مفهوم التسامح الذي هو ضد التعصب وبالتالي يؤسس لفكرة التعايش، لا يعني فقط السماح بوجود قناعات أخرى فقط ولكنه يعني أيضاً ترك الذات تتفاعل مع هذه القناعات، وأن التسامح هو أساس لتفاعل مثمر مع الأفكار والمفاهيم. أن تفهم المنظورات الأخرى يتيح نمو المعرفة وبهذا يمكن للاشتغال بالأديان والثقافات الأخرى أن يقود إلى الاغتناء. (يورغين هابرماس، مجلة التسامح، 2006، ص299–300).

استطيع القول هنا أن آفة التعايش بشكل أساسي تكمن في معضلة فهم النصوص المقدسة وتفسيرها؛ وهو نشاط إنساني ومقيد بنص محدد منفتح، وأن كل شكل من أشكال التفسير يحتوي على احتمال الخطأ والصواب، بدلاً من احتمالية واحدة صحيحة. حيث أن كل تفسير يعكس تغيرات مستمرة في الزمان والمكان، وعدم فهم ذلك يعكس كسلاً في التفكير، ذلك فإن المستجد المعرفي والحياتي يدخل في فهم النص دون الوقوع في التناقض (الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ص194).

في هذا البحث سنلقي الضوء على فلسفة التعايش في سورة المائدة كما يراها علي أبو زريق في مؤلفه "معجزة أسماء السور القرآنية".وقف الباحث كثيراً عند سورة المائدة التي اسماها المؤلف "سورة التعايش"، فثمة شيء

شدني في الفهم والتفسير فيها، وكأنه يخاطبنا ويوقظ فينا شيئاً هاجعاً، بما فيها من منهج للتعايش، ينبغي اتباعه، وفهماً شاملاً ومترابطاً للتعايش، يغرس الحب والمودة، بين الناس بما ينسجم مع رسالة القرآن الكريم.

أس فلسفة التعايش في القرآن الكريم في ضوء مقاربة أبو زريق:

كمنطلق لبحثنا هذا نسلط بعض الأضواء على ما نراه اسسالفلسفة التعايش في القرآن الكريم:

1- وحدة الأصل للجنس البشري: يقول الله تعالى: (*يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم* مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات:13).

هنا نجد أن القرآن قد وضع قاعدة المساواة بين ابناء الإنسانية بأن أصلهم واحد، فليس لاحد الحق في الاستعلاء والتعصب لظنه أن الفئات الأخرى أحط من فئته التي ينتمي إليها، أوأقل قدراً. هذه النظرة الشمولية لأصل الإنسانية تتنافى مع أي مصدر للفرقة والاستبداد والإقصاء، والتطرف. عقيدة الأخوة الإنسانية المنافية لكل ظلم وجور وعدم مساواة، نرى هنا أن موضوع التعددية والعلاقات بين الشعوب والتعايش العرقي والديني والثقافي بين بني البشر هو الهدف الأساسي للقرآن، إذا لم ينحرف الإنسان عن طبيعته الأصلية التي خلقه الله عليها وهي الفطرة أو أحسن تقويم (د. الشريف، مجلة عالم الفكر، ص293-294)

2- الاختلاف طبيعة في البشر وأكثر ما يكون في الدين فلا يوجب العداوة والاقتتال: ويقول الله تعالى: (وَلَوْ *شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)* (هود: 118). أي أن الاختلاف سنة ربانية مقررة، وعلى الإنسان، أن يتقبل الآخر. وليس له حق الاعتداء على المختلف حتى لو أظهر الأخر العداء لله. يقول تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الأنعام: 108). وللسيد ابو زريق وجهة نظر إنسانية في تأويل هذه الآية فيقول:"ويصل الأمر قمته عندما يأمر (الله) المؤمنين ألا يسبوا آلهة أقوام آخرين كي لا تزداد العداوة ولا تتحطم نفوس الجاهلين فيزدادون كفرا وشراً" (أبو زريق، ص 160).

3- العفو والتسامح لصالح التعايش مع ما لا يضر بالمجتمع: يوجه الله نبيه لغض النظر عن خيانات اليهود أكبر اقليات عاصمة النبي {... ولا تَزالُ تطَّلِعُ على خائنةٍ منهمْ فاعفُ عنهم واصفحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسنين} (المائدة:13). ويعلق أبوزريق على هذه الآية بقوله:" وتُختَم الآية بدعوة النبيّ للعفو عما يصدر عن بعضِهم من خيانةٍ أو إساءةٍ. وهذا مما يتماشى مع فكرةِ المائدة كدعوةٍ للتعايش والحوار. ويتفق مع ما سبقَ من دعوةِ المؤمنين لتجنب الانتقام، وعدم الردِّ على الإساءةِ بمثلِها ما دام المؤمنون في موقع قوةٍ، وبيدهم زمامُ الأمور. وهي الظروفُ المناسبة لنزول سورة المائدة. " (أبو زريق، ص133).

4- العدل مع الجميع: العدل هو السمة الأقوى والصفة الأبرز للإسلام مقارنة باي دين آخر. فقد ذُكِرَت الدعوةُ إلى العدل والإشارةِ إليه بأكثر من عشرين آية، وفي سورة المائدة يحض الله تعالى على العدل مع الأعداء ومن سبق منهم الظلم للمسلمين { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة:8). والعدل لا يُبقِي حجة لادعاء الظلم ورفض الشراكة والتعايش. بل هو داعية الناس للرضا بالنظام السياسي العادل والانضمام إليه بل الهجرة إليه أحيانا. فالعدل كالأمن من المطالب الأساسية للإنسان. (صادق سليمان، مجلة عالم الفكر، ص233-235).

5- الأمن للجميع: إن وجود قوانين وتشريعات لضبط الحياة. ووجود نظام عقوبات لمن يعتدي واضح تماما في القرآن. وهذا هو مصدر الأمن لجميع فئات المجتمع عندما يُطبَّق. فحياة الإنسان مُصانةٌ، والمعتدي يعاقَب بقدر عدوانه، ولمال

الإنسان حرمتُه وتصل عقوبة السرقة إلى قطع يد السارق، ولكل اعتداءٍ آخرَ عقوبةٌتكافئة. حتى سمعة الإنسان مصانة وغيبه وكرامته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات:12-13). (أبو زريق، ص584-585).

فلسفة التعايش في سورة المائدة:

في كتابه "معجزة أسماء السور القرآنية" وصف علي أبو زريق سورة المائدة بأنها "سورة التعايش". فالمائدةتعني مكان الاجتماع والطعام والحوار، لأن لا مائدة دون حديث وحوار. ولا ننس أو موضوع الكتاب منصبعلى أسماء السور.وأنالإسمدلالة على محتوى السورة كله وأن الأسماء لم تُنزل عبثاً أو كيفما جرى، كما كان يُظن قبل هذا الكتاب.

ولإثبات وجهة نظره أجرى المؤلف تحليلاً للسورة على ضوء عنوانها وقال "كعنوان للسورة جاءت بمعنيين معاً مائدة الطعام ومائدة الحوار لفئات المجتمع.أما كمائدة للطعام فشملت الموضوع بما لا يقدر عليه عقل بشري. جعلته استمراراً للعقود بين الله وبين الإنسان.....وعن مائدة الحوار وما تنظمه من علاقات بين فئات المجتمع نجد عجباً، بل مستوى من النضج والتعايش لم تصله البشرية حتى اليوم" (أبو زريق، 127).

يجدر القول بادئ ذي بدً وقبل أن ننتقل إلى دراسة فصل سورة المائدة في كتاب " معجزة أسماء السور القرآنية" أن نذكر أن موضوع التعايش أو المصطلح نفسه على الأقل يكاد يكون جديداً. وازداد ظهوره في ثقافتنا المعاصرة في عهد العولمة.وهو يختلف بحقيقته ومعناه الضيق عن مصطلحنا العربي الإسلامي الواسع. فقد طرأ المصطلح المقابل باللغة الإنجليزية(co-exist) حوالي منتصف القرن العشرين على يد القيادة السوفياتية ليعني إمكانية التعايش بدل الصراع بين المجموعة السوفياتية وبين المجموعة الغربية بقيادة الولايات المتحدة. بينما تصف سورة المائدة حياة تعايش كاملة بين فئات مختلفة الدين واحيانا مختلفة العرق في الدولة الإسلامية آنذاك، وتفصل أوجه التعايش وتضبطها بقوانين ترعاها وتحرسها.(أبو زريق، ص136)

واليوم وقد تباعد الزمن بيننا وبين زمن نزول القرآن، وبرزت الصراعات الدينية والمذهبية المعاصرة، ويُستغل الفهم الشائع للدين في إذكاء تلك الصراعات، فقد صار من المناسب وربما المفيد بحث الموضوع ومعرفة موقف الإسلام منه. ونرى أن كتاب ابوزُريق المذكور قد ظهر في الوقت المناسب. ولما كانت المقارنة من شروط البحث العلمي وبها يتبين الخطأ من الصواب، وعلى أساسها تتعمق المعاني أو تظهر وجوه الخلل.وكما تقول حكمة صينية قديمة "إذا أنت لم تقارن فأنت لا تعرف" والمقارنة تعني التناظر والتماثل والاختلاف (شعبان، مجلة مقابسات حضارية، ص16).

اخترنا لفحص التأويلات الجديدة لسورة المائدة مقارنتها بتأويلمفسرين حديثين كلاهما يصدر عن مجمل ما قالت المفسرون قبله، وكلاهما باحث ذو رؤية فكرية، مما يبعث روحاً في تفسيريهما. والمفسران المرجعان هما:

سيد قطب صاحب كتاب "في ظلال القرآن" كممثل لمفسري المذاهب السنية.

ومحمد حسين طباطبائي صاحب كتاب "الميزان" كممثل لمفسري المذاهب الشيعية.

وكلاهما ممن عاش وتوفي في القرن العشرين.

أبرز معالم فلسفة التعايش في سورة المائدة:

أولاً: مائدة اللقاء والاتفاق: من عنوانها اكتشف ابو زريق في السورة أهم قواعد التعايش. يقول " وكعنوان للسورة جاءت بمعنيين معاً: مائدة الطعام ومائدة الحوار لفئات المجتمع". فكلمة المائدة التي أُخذت من ذِكْرِ مائدة المسيح الواردة في أواخر السورة؛ جاءت كعنوان للسورة بمعنى مائدة اللقاء، وحصراً لنوعين من اللقاء هما اللقاء على مائدة الطعام واللقاء على مائدة الحوار(أبو زريق، ص127).

ثانياً:صنع علاقة حميمة بين مختلفي الدين: منذ بدايات السورة تأتي الآية الخامسة بأسمى مظاهر التعايش بين فئات المجتمع مختلفة الدين:(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

ويعقب عليها المؤلف بقوله "الطعام والعلاقة بأهل الكتاب وفي أحسن حالاتها، حيث يمكن أن يصهر المسلمون إلى أهل الكتاب، ويأكلوا معاً نفس الطعام (ص:127). وتجعل طعامَ أهل الكتاب حلالاً للمسلمين وطعامَ المسلمين حل لهم. وانطلاقاً من حِلِّ الطعام ومن فكرة المائدة يُحِلُّ الله للمسلمين الزواج من نساء أهل الكتاب تماما وبنفس شروط الزواج من المسلمات. وبذا تمهد الآية لمائدة الحوار والتعاون بين أتباع الأديان الثلاثة. وفي هذا قاعدة للتعايش الذي تهتم به السورة لاحقاً وتضع أسسَه" (أبو زريق، ص131)."

أما قطب في تفسيره من خلال كتابه (في ظلال القرآن) فله راي مشابه من حيث الظاهر فيقول:"وهنا نطلع على صفحة من صفحات السماحة الإسلامية؛ في التعامل مع غير المسلمين، ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي أو في ما يُسمى "بدار الإسلام "، أو تربطهم به روابط الذمة والعهد، من أهل الكتاب إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية؛ ثم يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين – أو منبوذين – إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة، والمجاملة والخلطة. فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم كذلك. ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة.وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم – وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر – طيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات. وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل". "(قطب، ج2، ص834-855).

وقلنا إن رأيه مشابه من حيث الظاهر، لأنا سنطلع لاحقاً على آراء له مناقضة تماماً.

وأما الطباطبائي في تفسيره (الميزان) فيتخذ موقفا مناقضا تماماً. فرغم وضوح معنى الآية من حيث جواز زواج الكتابية وحل طعام أهل الكتاب نراه ومن نقل عنهم يرفضون المبدأ. وبعد مناقشة طويلة يصل إلى النتيجة التالية كمعنى نهائي للآية عنده:" فقد تبين من جميع ما تقدم عدم دلالة الآية ولا أي دليل آخر على حلّية ذبائح أهل الكتاب إذا ذبحت بغير التذكية الاسلامية". وعن حل زواج الكتابيات يُجمل القول بعد نقاش طويل "وإنما يحل نكاح أهل الكتاب الذين يؤدون الجزية، وغيرهم لم تحل مناكحتهم" (الطباطبائي، ج5، ص201-218).

ثالثاً:التحاكم والتنافس بالمعروف كل حسب دينه: ونعود إلى ما جاء في فصل سورة المائدة من الكتاب موضوع البحثيقول أبو زريق: " وعن مائدة الحوار وما تنظمه من علاقات بين فئات المجتمع نجد عجباً. بل مستوىً من النضج والتعايش لم تصله البشرية حتى اليوم (أبو زريق، ص127):

فالآيات (42-49) تنظم العلاقة بين الفئات الدينية التي تشكل المجتمع، وهي هنا اليهود والنصارى والمسلمون. وهي كذلك تأمر كلاً من الفئات الثلاث باتباع كتاب الله المنزل لها. وأن تتسابق الفئاتُ الثلاث بطاعة الله كلٌّ وِفقَ كتابها. وهو ما لم تعهده البشرية، خصوصاً من دينٍ منتصرٍ قادر على اتخاذ ما شاء من قرارات بشأن

المخالفين بالعقيدة.فلم يكن في العالم هيئة أمم ولا منظمات حقوق الإنسان. يقول تعالى:(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (سورة المائد، آية 44) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة المائدة، آية 47، 48).

ويعقب أبو زريق على هذه الآيات بقوله تحت عنوان تعايش أتباع الأديان المختلفة: "إنه أرقى نماذج التعايش بين البشر حتى المختلفين منهم. وفيها من النظريات القانونية ما لم تعرفه البشرية بعد. بل إن قيادات المجتمع الغربي الحالية لم تصل بسلوكها وممارساتها مستوى فكرةِ التعايش الموجودةِ في الآيات (43–48). فحسب هذه الفقرة القرآنيةِ لا يجوزُ تطبيقُ قانونِ شعبٍ على شعبٍ آخر. لأن القانونَ يراعي عادةً العواملَ الوراثية للشعبِ كما يراعي الظروفَ البيئية. بعكس ما يظن الغربيون المعاصرون الذي يريدون فرضَ ثقافتهم وقوانينَهم على العالم. ومن لا يطبقُها يعتبرونه متخلفاً. وبالمقابل تأمرُ الآياتُ بني إسرائيل في المجتمع العربي المسلم أن يتحاكموا إلى التَّوراة؛ وتأمر النبيّ بصفته قائدَ الأمة أن لا يحكم بينهم بالقرآن؛ وتلومُهم على محاولةِ التحاكم إلى القرآن وعندهم التَّوراة:﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة، آية 43).

وللنصارى تقول الآية (47) :﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُفَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾.

ويضيف أبو زريق توضيحا لاختلاف القوانين بين الفئات الثلاث:" لعلمه الله تعالى باختلاف ظروفهم وما آتى كلّاً منهم جعل سبحانه وتعالى لكلّ فئةٍ منهم شريعةً ومنهاجاً فليتنافسوا بعمل الخير كلّ حسب شرعته. أو كما قال سبحانه{.. فاستبقوا الخيرات..}....وهذا هو جوهر سورة المائدة! التعايش وليس الصراع. والتعايش الذي يضمن لكلّ فئةٍ الالتزام بكتابها." (أبو زريق، ص 136).

ثم يقارن أبو زريق هذه الأحكام القرآنية بما صدر عام 2007م عن مجلس كرادلة الفاتيكان بسحب الغطاء عن معظم الكنائس غير الكاثوليكية. واعتبارها ليست طرق خلاص للإنسان. أي أنها حسب رؤية المجلس غير مقبولة عند الله. ويستغل الكاتب هذه النقطة ليلفت النظر إلى أن سلوك مجلس الفاتيكان المذكور هو السلوك البشري العادي. وبالتالي لا يمكن أن تكون أحكام سورة المائدة من رجل عربي أميّ عاش في القرن السابع الميلادي يدعو لدين جديد. فما الذي يجبره على إعطاء شرعية لأديان غير دينه وهو المنتصر لو كان الأمر من عنده؟ بل هو من عند الله كما يستنتج السيد أبو زريق.(أبو زريق، ص137)

وننتقل لمقارنة تأويلات ابو زريق بما جاء في تفسيري سيد قطب ومحمد طباطبائي:

–أما قطب فيبدو مضطرباً بشأن هذه الآيات، وكثيراً ما تتناقض أقواله بشأنها.. فتعقيباً على ماجاء في الآية (42 من سورة المائدة) من تخيير النبي بالحكم بينهم؛ أو الإعراض عنهم يقول:"وهذا التخيير في أمر هؤلاء اليهود يدل على نزول هذا الحكم في وقت مبكر. إذ أنه بعد ذلك أصبح الحكم والتقاضي لشريعة الإسلام حتميا. فدار الإسلام لا تطبق فيها إلا شريعة الله (قطب، ج2، ص887–905).

فكيف يكون التقاضي لشريعة الإسلام حتمياً ثم يسمح لهم بما سمحت به شرائعهم؟

وتفسيراً لقوله (45) آية النفس بالنفس يقول:" وقد استبقيت هذه الأحكام التي نزلت بها التوراة في شريعة الإسلام، وأصبحت جزءا من شريعة المسلمين، التي جاءت لتكون شريعة البشرية كلها إلى آخر الزمان. وإن كانت لا تطبق إلا في دار الإسلام، (قطب، ج2، ص887-905).

وتعقيبا على قوله تعالى بحق النصارى (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) يقول: "فالقاعدة هي الحكم بما أنزل الله دون سواه. وهم واليهود كذلك لن يكونوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل – قبل الإسلام – وما أنزل إليهم من ربهم – بعد الإسلام – فكله شريعة واحدة، هم ملزمون بها، وشريعة الله الأخيرة هي الشريعة المعتمدة". (قطب، ص، 745 المجلد الثاني).

وبذا فهم قطب هنا أن الآية تقصد مرحلة ما قبل الإسلام!! لكن السؤال هو هل كان النصارى قبل الإسلام ينتظرون هذا الحكم؟ وما قيمته مع أنه منزل بصيغة الأمر لينفذ في الحال وفي قابل الأيام!!

هذا هو القول النهائي عند قطب. وهكذا استغل روح التسامح والعدل الموجودة في الآيات (44-49) من سورة المائدة للتباهي بإنسانية الإسلام. ولكنه عندما يصل مجال التطبيق يحرمهم التحاكم لغير شريعة الإسلام بصفتها الشريعة الأخيرة والعامة للبشرية كلها حسب فهمه. وبذا لا يتفق موقف سيد قطب مع ما جاء به أبو زريق.

وأما الطباطبائي صاحب الميزان فلم يقل شيئا بمنحة التحكيم التي أقرها القرآن لبني إسرائيل في الآيات المذكورة. واكتفى كغالبية المفسرين بالاشتغال بأمور لا تفيد النص بشيء كالمعنى الدقيق لكلمات كافرون وظالمون وفاسقون بحق من لا يحكم بما أنزل الله وبحق من نزلت كل كلمة.

وعن آية تحكيم الإنجيل فإنه لم يذكر كلمة واحدة عن عملية الحكم وما منحه الله للنصارى بهذه الآية. واكتفى بوصف العلاقة بين التوراة والإنجيل ولم يأت بشيء مفيد. (الطباطبائي، ج5، ص337-377)

وبالتالي يكون سيد قطب قد تفاعل مع النص القرآني بالاتجاه المناسب لهذا العصر لكن دون أن يتحرر من التعصب الذي غرسته كتب التراث في نفوس قارئيها كتكفير اليهود والنصارى ونسخ أديانهم بالإسلام.

رابعاً: العدل مع الجميع: وبالعودة إلى كتاب أبو زريق فإننا نجده يقول تحت عنوان "إعداد المؤمنين لمجتمع التعايش المشترك":

"الآيةُ الحاديةُ عشرة توَظّف لعدة أغراضٍ كلّها مما يناسب سورةَ المائدة (يَا أَيُّهَاٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكل ٱلْمُؤْمِنُونَ).فهي تتمة لموضوع الآية الثَّامنة التي تأمر بالعدل حتى مع من سبق منه الظلم والإساءة. فتُذَكِّر بنعمة الله وأن الذين انتصرتم عليهم وصاروا تحت حكمكم كانوا قادرين يوماً على هزيمتكم لولا نعمةُ الله عليكم وتدخلُه لصالحكم. ولعل الآيةَ تشير إلى غزوة الخندق حيث اجتمعت أحزابٌ وقبائلُ عربيَّة عديدةٌ بقيادة قريش على مهاجمة المدينة. فردَّهم الله دون تحقيق غايتهم. والشكرُ على مثل هذه النعمة يكون بعدم الظلم، وعدمِ استعمال القوّة، إلا بحقّها المتعارفِ عليه بين البشر، وفي إطارِ ما أمر الله به أو اباحَه. وهذا عقدٌ مع الله يجب الوفاء به!"فالتسامح مع من سبق منه العدوان وعدم الانتقام أفضل وسيلة لإزالة الأحقاد بين فئات المجتمع ويصح هذا في العلاقة بين المجتمعات المختلفة. فهو الخطوة الاولى والضرورية للتعايش في مجتمع تعددي كان فيه صراع في الماضي القريب.(أبو زريق، ص132).

وكتب سيد قطب في ظلال هذه الآية :" وأيا ما كان الحادث، فإن عبرته في هذا المقام هي المنشودة في المنهج التربوي الفريد، وهي إماتة الغيظ والشنآن لهؤلاء القوم في صدور المسلمين. كي يفيئوا إلى الهدوء والطمأنينة وهم يرون أن الله هو راعيهم وكالئهم. وفي ظل الهدوء والطمأنينة يصبح ضبط النفس، وسماحة القلب، وإقامة العدل ميسورة. ويستحيي المسلمون أن لا يفوا بميثاقهم مع الله؛ وهو يرعاهم ويكلؤهم، ويكف الأيدي المبسوطة إليهم". (قطب، ج2، ص887-905).

ولعل ما كتبه السيد أبو زريق كان أولى أن يوضع تحت الآية الثامنة كما فعل سيد قطب في الظلال إذ قال:" ومن الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل.. العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن؛ ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى في حال من الأحوال. العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات.. والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور"(قطب، ج2، ص835–855).

ويبقى الفرق بين أبو زريق وبين سيد قطب أن الأول يقدم السورة على أنها معنية بفئات المجتمع الواحد؛ ويرى قطب أن المسلمين على عهد مع الله بفرض العدل على البشرية كلها بعد أن يفرضوا دينهم عليها.

وننتقل للطبطبائي لنجده عند الآية الثامنة منشغلاً بالمقارنة بينها وبين الآية (135) من سورة النساء. وعند الآية الحادية عشرة موضوع فقرتنا هذه نجده منشغلا بمعنى التقوى والتوكل دون ربطهما بموضوع العدل والتعايش. (الطباطبائي، ج5، ص235–242).

خامساً: الحوار بدل القتال: يكتب السيد ابو زريق تحت عنوان القتال أم الحوار مستلهما من الآيات (20–32 من سورة المائدة) ما لم نجد له مثيلاً في تراث الأمة، يقول:وتصل سورةُ المائدة قمتَها في الدعوة للحوار والنهيِ عن القتلِ والقتال ما أمكن. والقتالُ لم يكن في سنة الله للقتل، وإنما للنصر، ولهزيمةِ الباطل؛ عسى أن يتخلى عنه أصحابُه، وينحازوا إلى الحقّ المتفق مع الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها (أبو زريق، ص134).

نجد هذه الفكرةَ السابقة للزمنِ الإنسانيِّ بقرونٍ عديدةٍ في الآيات (20– 32):(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً وَآتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن ٱلْعَالَمِينَ(20)يَٰقَوْمِٱدْخُلُواٱلأَرْضَٱلمُقَدَّسَةَٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَٰسِرِينَ *قَالُوا يَامُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِفَتَوَكلوۤاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ يَامُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاۤ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدوُنَ * قَالَ ربِّ إِنِّي لاۤ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِٱلْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَربعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِٱلْفَاسِقِينَوَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحقّ إِذْ قَرَّبَا قُرباناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّيۤ أَخَافُ ٱللَّهَ ربَّ ٱلْعَالَمِينَ * إِنِّيۤ أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَلِكَ جَزَآءُٱلظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي ٱلأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَاٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰبَنِيۤ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلّبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ).

في الآيات (20–26 من سورة المائدة) نرى بني إسرائيل يعصون نبيهم، ويرفضون القتال لأنهم لا يقدرون على تدمير عدوّهم. ونرى رجلين صالحين يعرفان سنة الله في تداول القوّة ينصحان القوم بدخول المدينة، ويعدانهم بالغلبة. لكنهم لا يكتفون بالغلبة، بل يريدون الانفراد بالأرض. وبعد قصة عصيانِهم لموسى، ورفضِهم دخولَ المدينة كما أمرهم، تردُ قصةُ ابني آدم إذ قتل أحدُهما الآخرَ حسداً ورغبةً في التفوق بغير حقّ. فخسر أخاه الوحيدَ وندم على فعلتِه. وكان التعقيبُ عليها مُوجهاً لبني إسرائيل: " مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ". ولم يُوجَّه للعرب مثل هذا التَّوجيه !! (أبو زريق، ص135).

والقصتان تسيران في نفس الاتجاه. فهما حالةٌ واحدةٌ هي الرغبةُ بالقضاءِ التامِّ على المنافس. وفي القصتين دعوةٌ للتعايش رغم اختلافِ المصالحِ والحسد. فلعل المدينةَ كانت تتسعُ للفئتين فإن غلبت فئةٌ تعايشت معها الأخرى فاستفادت الفئتان تبادُلَ المعرفة، وعجَّلت كلّ منهما تطوُّر الأخرى ونمُّوَها. وفي قصة ابني آدم يتجلى خطأُ قاتلِ أخيه بما لا يدع مجالاً للاختلاف حوله، فهو أشدُّ الناس حاجةً لإنسان من نوعه يعيش معه. فخسره بسبب الحسد الجارفِ الذي لم يتحملمعه رؤيةَ أخيه متفوقاً عليه". (أبو زريق، ص135).

ولْننتقل إلى قراءة قطب لقصة ابني آدم، حيث لم يعتبر القصة تتمة لكلام موسى لقومه بل اعتبرها موجهة للمسلمين ومقدمة لعقوبة الحرابة والإفساد في المجتمع التي تليها تماماً. (قطب، ج2، ص872، 886).

وفي الجهة المقابلة من فكر الأمة نجد الطباطبائي مثل قطب وغالبية المفسرين لم يربط بين هذه الآيات وقصة ابني آدم. بل ربط بين حسد ابن آدم لأخيه ثم قتله وبين حسد بني إسرائيل للنبي محمد عليه السلام. (الطباطبائي، ج5، ص297-325).

وحسب ابو زريق فإن قصة ابني آدم موجهة إلى موسى ليتلوها على قومه. وحسب قطب والطباطبائي ومعظم المفسرين فهي موجهة لمحمد رسول الله ليتلوها على قومه.

سادساً: دعوة القيادة للصبر على الأقليات وغض الطرف عن إساءاتها الخفيفة لتستمر المعايشة:يكتب ابو زريق تحت عنوان "أمثلة من بني إسرائيل" (ص132) تتمة لعقود الله مع فئات المجتمع: "اليهود: وتنتقل السورة من حديث العدل والنهي عن اللجوء للقتال بطراً إلى أكبر اقلية في المدينة وهم بنوا إسرائيل. فهم أيضا على عهد وميثاق مع الله.﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِيۤإِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ ٱلزَّكَاةَ وَآمَنتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظَّاً مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(سورة المائدة، أية 13).

وهو عقد شبيه بعقد الله مع العرب. وتشير الآية التالية إلى نقض أجيال منهم للعقد وتفسيرهم لكلام الله على غير ما وضع له؛ وليس تغيير الكلام كما يزعم بعض الناس. وتختم الآية بدعوة النبي للعفو عما يصدر عن بعضهم من خيانة أو إساءة. وهذا مما يتماشى مع فكرة المائدة كدعوة للتعايش والحوار." (أبو زريق، ص132)

وننتقل إلى قطب وتفسيره "في ظلال القرآن" لنجده يقول كلاما كثيرا حول ميثاق الله مع اليهود ويختمه بالفقرة التالية:"لقد كان الله – سبحانه – يقص عليها (الأمة المسلمة) ما وقع لبني إسرائيل من اللعن والطرد وقسوة القلب وتحريف الكلم عن مواضعه، حين نقضوا ميثاقهم مع الله، لتحذر أن تنقض هي ميثاقها مع الله، فيصيبها ما يصيب كل ناكث للعهد، ناقض للعقد".قطب لم يرىأي معنى لذكر ميثاق الله مع بني إسرائيل إلا تحذيرا لأمة محمد عليه السلام. ولم يفهم من الدعوة للعفو عنهم سوى أنها تذكيربقبائحهم وخيانتهم وأنها مجرد دعوة مؤقتة. (قطب، ج2، ص855-871).

وأما الطباطبائي في تفسيره الميزان جاء أشد عليهم من سيد قطب في وصف نقضهم ونتائجه ولكنه لم يقل كلمة واحدة بشأن أمر الله للنبي عليه السلام بالعفو عنهم.(الطباطبائي، ج5، ص235-242).

فكلا المفسرين لم يقدِّر مسالة العفو الموجهة للنبي بحق فئة من بني إسرائيل، ولا اعتبرها قاعدة للتعايش وهي تامر بالغض عن سلبياتهم الصغيرة التي لا تضر بالمصالح العامة للأمة بخلاف ما رآه ابو زريق.

سابعاً: الأمنضمانة التعايش:نقرأ في قول أبو زريق "وفي مجتمعِ المائدة والحوار المتمدن لا بدَّ من الأمن لذلك تأتي آياتُ الحرابة (33 -34) بحكم من يسعى في الفساد ليكون الناسُ أمناءَ على أنفسهم. ثم تاتي آيةُ حكم السرقة (38). فلا حوارَ ولا موائد مع من ينحدر إلى درجةِ القتل من أجل مال أو عبثاً وإفساداً." (أبو زريق، ص135)

ونص الآيتين (33-34 من سورة المائدة):﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ*إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

يرى قطب أن العقوبات المذكورة في الآيات (33-34) إنما تطبق عندما يكون الحاكم شرعياً ووصل لمنصبه وفق الشريعة الإسلامية وليس لأي حاكم آخر. ولعله بهذا الرأي متأثرٌ بنظريته عن الحاكمية التي لا تجوز أن تكون إلا لله.(قطب، ج3، ص872-886).

ويقول الطباطبائي في تفسيره الميزان: "فالمراد بالمحاربة والإفساد على ما هو الظاهر هو الإخلال بالأمن العام، والأمن العام إنما يختل بإيجاد الخوف العام وحلوله محله، ولا يكون بحسب الطبع والعادة إلاَّ باستعمال السلاح المهدد بالقتل طبعاً ولهذا ورد فيما ورد من السنة تفسير الفساد في الأرض بشهر السيف ونحوه. (الطباطبائي، ج5، ص325-336).

ولا نرى اختلافا بين الباحثين الثلاثة من الناحية العملية فلا شك أن أمن المجتمع واضح في التفسيرات الثلاثة وإن كانت المذهبية والحزبية تقفان بوضوح وراء تفسيري الطبطبائي وقطب.

ثامناً: حدود التعايش:حسب فهم ابو زريق لسورة المائدة " لم يكن التعايش بلا حدود وضوابط. خصوصاً أن النص القرآني يتعامل مع أمة أمية لا تعرف عامتها المكر. وقد يكون اهتمام أفراد من العامة بمكاسبهم الشخصية أكثر من الشأن العام. فيخشى مع ذلك التقرب من الأقليات على حساب الشأن العام أو التورط بما يضر الأمة بسبب عدم فهم العامة لحدود التعايش. نعم للمصاهرة والمؤاكلة والاجتماع للشأن المشترك. لكن لا بد من الحفاظ على قيم الأغلبية ودينها ورموزها من أن تنتهك من قبل افراد من الأقليات الذي لم يتقبلوا فكرة دين منتصر وقائد للأمة. فنجده يكتب تحت عنوان حدود التعايش:" تحدد هاتان الآيتان الفئة التي يجب مقاطعتها منهم ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَأَوْلِيَآءَوَٱتَّقُواْٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلاَةِٱتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾. (سورة المائدة، آية 57-58)فلا يحق للمسلم أن يصادق من يتهكم على دينه ويهزأ بشعائر الإسلام.

والآيات كما نرى تتحدث عن فئة قليلة من أهل الكتاب تتهكم على شعائر الدين لنقص في عقلها. وليس كل أهل الكتاب. فالمهذب مهما كان دينه لا يتهكم على أديان الاخرين ولو من باب المجاملة. فهي حالة محدودة. (أبو زريق، ص138-139).

أما قطب في ظلاله فعظَّم الحالة الموصوفة في الآيتين أعلاه لتشمل التاريخ كله وتصدر عن شعوب بحالها. ونقتبس مما كتب في ظلال الآيتين الآنفتين:" هذا الدرس للذين آمنوا يثير في نفوسهم الحمية لدينهم ولعبادتهم ولصلاتهم التي يتخذها أعداؤهم هزوا ولعبا ونجده يسوي في النهي عن الموالاة بين أهل الكتاب والكفار وينوط هذا النهي بتقوى الله.."(قطب، ج2، ص 906-936).

وأما الطبطبائي صاحب الميزان يقول: " آيات تنهى عن اتخاذ المستهزئين بالله وآياته من أهل الكتاب والكفار أولياء وتعد أموراً من مساوي صفاتهم ونقضهم مواثيق الله وعهوده" والولاية عند الطبطبائي ليست علاقة

محسوبة مقيدة بظاهرها بل هي تمازج روحي وإيثار يندر تحقيقه إلا بين أعضاء الأخويات الدينية ذوات الصفة الخاصة والأعداد المحدودة من الأتباع وغالباً ممن ينتمون للأقليات. (الطباطبائي، ج5، ص325-336)

تاسعاً: قاعدة تقييم العلاقة بالأخر: يلفت ابو زريق انتباهنا إلى أن الموقف الخلقي هو أساس تقييم العلاقة بالآخر وليس تقارب العقيدة ولا آصرة الدم. فيقول :" الآيات (سورة المائدة، آية 82 -86) تضع بين أيدينا منهجاً في الحوار والتحالف وما يتبعهما من علاقات بين جماعات الأمة وبما ينسجم مع مواضيع السورة: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلْيَهُودَوَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَقَالُوۤاْ إِنَّا نَصَارَىٰذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ).فأساس التحالف والصداقة هنا الموقف الخلقي وليس العقيدة ولا قرابة الدم. كان النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين مع أن اليهود أقرب منهم عقيدة للمسلمين، والمشركون أقرب من النصارى نسباً؛ ولكن الموقف الخلقي للنصارى كان الأفضل. فهم لم يجاملوا المشركين ولم يقولوا لهم أنتم أفضل عقيدةً من محمد كما فعل اليهود. ولم يحرضوا على قتال المسلمين قط على عهد النبي كما فعلت يهود وأحزاب المشركين. لذلك اعتبروا الأقرب مودة ولأسباب أخرى تتعلق بتكوينهم النفسي ذكرتها الآيات (سورة المائدة، آية 83-85). وقد يقول قائل إن هذه الآيات تناقض ما جاء في الآية (51 من سورة المائدة) التي تنهى عن موالاة اليهود والنصارى. ولكن لو انتبه إلى استعمال صيغ التفاضل أو أفعل التفضيل لعلم أن الأمور نسبية. فاليهود كالمشركين أشد الناس عداوة والنصارى خير الجماعات التي تشاركهم الحياة في المكان فوصفهم بأنه أقربهم مودة. ولم يستعمل فعلا بصيغة تدل على الإطلاق بحق أي من الفئات. فهي مقارنة دقيقة وبصيغة محكمة (أبو زريق، ص140)!"

وبالمقابل فإن قطب في ظلاله له رأي مختلف. فبعد أن يتوسع بالحديث عن اليهود ألأشد عداوة للإسلام والمسلمين حتى من المشركين، ويذكر ما ينسب إليهم من مؤامرت، ينتقل ليأتي بما رآه تفسيرا للجزء الخاص بالنصارى من الاية قائلاً: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: إنا نصارى﴾.هو فريق لا يستكبر عن الحق حين يسمعه، بل يستجيب له تلك الاستجابة العميقة الجاهرة الصريحة. وهو فريق لا يتردد في إعلان استجابته للإسلام، والانضمام للصف المسلم؛ والانضمام إليه بصفة خاصة في تكاليف هذه العقيدة؛ وهي أداء الشهادة لها بالاستقامة عليها والجهاد لإقرارها وتمكينها. وهو فريق علم الله منه صدق قوله فقبله في صفوف المحسنين.(قطب، ج2، ص 959-968)

وكتب الطبطبائي في الميزان كلاما كثيرا حول الآية وبدا مضطرباً في البداية وهو يقترب من رأي سيد قطب. ثم تراجع وأنهى حديثه الطويل بالعبارة التالية مَعللاً سرَّ مودَّة النصارى للمؤمنين:"النصارى أقرب مودة وآنس قلوباً للذين آمنوا بخصال ثلاث يفقدها غيرهم من اليهود والمشركين، وهي أن فيهم علماء وأن فيهم رهباناً وزهاداً، وأنهم لا يستكبرون وذلك مفتاح تهيؤهم للسعادة". (الطباطبائي، ج6، ص62-105).

ونرى أن كلا المفسِّرَين لم يرق إلى مستوى المعايشة الذي رآه على أبو زريق في الآيات.

وختاماً فإن كتاب "معجزة اسماء السور القرآنية" فاتحة عهد جديد في علوم القرآن. توصل مؤلفه إلى أن السورة القرآنية تدور حول موضوع واحد تناقشه من كل جهاته. كما رأينا في سورة المائدة التي قدمها على أنها سورة التعايش. فكان تعايشا حقيقيا يبدأ من البيت والأسرة ومائدة الطعام ليصل في مناقشاته واحكامه توجيهات للقيادة ودعوة للعبادة تُنهي التنافس على أحقية الدين لتملأه بالتنافس بالدين لإرضاء الله وفق ما أمر. وتعطي شرعية لأديان المجتمع السماوية دون أن تأذن لفئة بأن تطغى على فئة. ويرى المؤلف أن القرآن الكريم مختلف عما في صدور البشر، فمصدره إلهي يجعله فوق التعصب وفوق الأعجاب بالذات على حساب الآخرين. القرآن الكريم لا يكتفي بإضفاء الشرعية على أديان سماوية أخرى بل طالب اتباعها بالالتزام بنصوص احكامهم، حيث اعتبر التوراه مرجعاً للحكم فيما

يتعلق ببني اسرائيل مع وجود القرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك موقفه الكريم مع الانجيل فاعتبراه كتاباً آلهياً فاعلاً في مجال الهداية. وأضاف المؤلف على مدونته الالكترونية (2013) وفيما يتعلق بالمشركين من غير العرب، المجوس الذين لم يعرف العرب آنذاك سواهم، وعندما حرر العرب البحرين وجدوا فيها مجوساً، اتى بهم كسرى لإدارة المناطق العربية التي يحكمها، فأستأذنوا النبي الكريم بشأنهم، فأمر بقبول الجزية منهم على أساس أنهم أهل ذمة وكتاب يحتكمون إليه في شؤونهم ولم تكن الجزية سوى علاقة على اعتراف المواطن في الدولة بسيادة النظام الجديد.

ومما لم نعرضه في هذه الورقة ما ذكره المؤلف من تعايش الإنسان مع البيئة بعدل وسلاسة وذلك في التعامل مع الأنعام التي يجوز أكل لحومها ومنع تضييعها فيما لا يفيد الإنسان ويغضب الله (87–96) (أبو زريق، ص141). وفي حل المشكلات المالية بين الوارث ووليه إذ يأمر القرآن بتشكيل لجنة وراء لجنة حتى يصل المظلوم لحقه (الآيات، 106–108). ويوجه بتشكيل اللجان من رجال معروفين بالاستقامة مسلمين أو من اهل الكتاب وهذا تعايش آخر(أبو زريق، ص142) لم نذكره هنا خشية الإطالة. كما ذكرت السورة الفئات المقبولة عند الله من بني إسرائيل لتطيب قلوب المخاطبين تجاههم ولا يَسِمونهم بالكفر المبرر للعداء (آية: 69) (أبو زريق، ص140). ولم ينس ابو زريق ان يوظف احكام السورة لإثبات مصدر القرآن السماوي. ويبرر بذلك عدم تحمل المخاطبين لتوجيهات السورة. بل اثبت بما لا يقبل الشك ان البشر جميعا يميلون لتكفير سواهم المختلفين عنهم ديناً. ولم يقتصر هذا الحال على المسلمين، بل ضرب لنا مثلا من قرارات الفاتيكان في القرن الحادي والعشرين. لتطمئن نفوسنا ولا نجلد أنفسنا. فليس التكفير مقتصرا على المسلمين بل هو طبع للبشر في أرقي مجتمعاتهم، ويصدر عن أعظمهم علما وثقافة. ولكن القرآن بمصدره الإلهي جاء بالحق والعدل وهو يدعو لتعايش مختلفي الأديان.

ووفقاً لأبو زريق فأن التعايش مبدأ أخلاقي إيجابي متجذر في فلسفة القرآن الذي يعترف بمجتمع كل البشر، ويرى التعايش أساس كل العلاقات بين أعضاء جماعة الإنسانية. أنه تجسيد لإدراك انتماء كل البشر للعائلة الإنسانية الشاملة ذاتها، وأن العنف والكراهية والإقصاء تعني تدمير الحياة، وهو ما يتناقض مع فلسفة القرآن الأخلاقية.

المراجع:

1- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، الطبري، بيروت، 1992.

2- أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

3- أدريس الكنبوري، النشرة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، الأردن، عدد مزدوج، 52، 53، 2017.

4- أديب إسحاق، مكتبة الفكر الاجتماعي، دار أمواج، بيروت، 1993.

5- أمين الريحاني، مكتبة الفكر الاجتماعي، دار أمواج، بيروت، 1993.

6- الأمير حسن بن طلال، مجلة النشرة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد 51، عمان، الأردن، 2017.

7- الدكتور رزين الرزين، الموسوعة الحرة.

8- حسن حنفي، مكتبة الفكر الاجتماعي، دار أمواج، بيروت، 1993.

9- راينر فورست، مجلة التسامح، العدد 7، مسقط، 2004م.

10- يورغين هابرماس، مجلة التسامح، العدد 7، مسقط، 2004.

11- لسنغ، مجلة التسامح، العدد 13، مسقط، 2006.

17- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج21 بيروت، 1985.

12- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، للقرآن الكريم، المجلد السادس، دار السعادة، 2007.

13- الدكتور محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

14- الدكتور محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، وزارة الثقافة، الأردن، 2009.

15- الدكتور محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

16- محمد عمارة: المربد :مجلة الأديب العربي 2015/10/27

http://www.merbad.net/vb/content.php/1710

17- محمد عبد الغفار الشريف، مجلة عالم الفكر، العدد 172، الكويت، 2017.

18- مصطفى حمزة، مجلة التسامح، العدد 7، مسقط، 2004.

19- مرسي مشري، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 55، عمان، 2011.

20- سيد قطب، في ظلال القرآن، ستة أجزاء، دار الشروق، بيروت، 1973

21- علي راضي أبو زريق، معجزة أسماء السور القرآنية، مكتبة وهبة، القاهرة، 2017.

22- الدكتور عبد الحميد الانصاري، مجلة عالم الفكر، العدد 172، الكويت، 2017.

23- الدكتور عبد الحسين شعبان، مجلة مقابسات حضارية، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، الأردن، المجلد 3، العدد 5، 2017.

24- فؤاد زكريا، مكتبة الفكر الاجتماعي، دار أمواج، بيروت، 1993.

25- صادق جواد سليمان، مجلة عالم الفكر، العدد 172، الكويت، 2017.

26- الناشر، مكتبة الفكر الاجتماعي، دار أمواج، بيروت، 1993.

مراجع أخرى:

1- أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، دار الصابوني، القاهرة.

2- ابي فضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

3- أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود، دار الكتب العلمية، بيروت، 19971.

4- الدكتور أحمد نوفل وآخرين، الثقافة الإسلامية وقضايا العصر، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

5- جار الله محمود بين عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الأول مكتبة مصر، 2010م.

6- جيرالد جيمس تومر، حكمة الشرق وعلومه، عالم المعرفة الكويت، 2017.

7- الشيخ طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، 1974.

8- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة، 1991.

9- المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميقا إمبريالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004.

10- لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهر، 1973.

11- كمال طيرشي، وذلك في مقاله المنشور على صفحة مؤمنون بلا حدود بتاريخ 20 مارس 2015، نقلاً عن:
. Edgar Morin, introduction a une politique de l'homme, édition du seuil, paris, 1965, p92
ورابط مقالته :http://www.mominoun.com/tags/1111

12- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، مترجم، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، 1999.

13- راينر فورست، مركز السلام للثقافة الدبلوماسية، رابط المقالة:
http://www.siironline.org/alabwab/diplomacy-center/035.html

المراجع باللغة الإنجليزية

References

1- Huston Smith, the World's Religions, 2005 ترجمة سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب

2- Luciano Floridi, The Fourth Revolution, Oxford University Press, 2014.

3- Maryam Jameelah, Islam in Theory and practice, Taj Company, Delhi, 1983.

4- Mohammad Hashim kamali, Freedom of Expression in Islam Islamic Texts society, Cambridge, 1997.

5- Maulana Muhammad Ali, Religion of Islam, Book crafters, Chelsea, Michigan, 1990.

6- Norman Daniel, Islam and the West, Ednburgh University press, 1966.

7- Dr. Saeed Ismaeel, The Relationship Between Muslims and Non Muslims, Al Attique In'l Islamic publications, Toronto, 2000.

8- Dr. Shafique. Ali Khan, Freedom of Thought and Islam, Adam publisher, Delhi, 1999.